جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠ - ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١ - ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٣)، ع١، ص ص١٤٣-١٤٨، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 3, (1), pp 143-148, King Saud University, Riyadh (1447 H / 2025)

عرض لكتاب

خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث- الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أ.د. صالح حبيب الله تشي شيوه بي

كلية اللغات الأجنبية - جامعة شمال غرب الصين للمعلمين
qixueyi06@163.com

عنوان الكتاب: خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث- الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لغة الكتاب: الصينية

المؤلف: أ.د. يوسف سراج مافوده

الناشر: دار العلوم الاجتماعية بالصين – بكين

سنة النشر: ٢٠٠٦م

عدد صفحات الكتاب: ٢١٨ صفحة.

مقاس الكتاب: ١٧ X ٢٤سم

رقم الإيداع: M.(1703-1787)

ردمك: : ٧-٥٠٠٤-٥٧٩٧-٩

يحمل هذا الكتاب عنوان "**خلاصة الكلام في الرائد لحركة الصحوة الإسلامية بالعصر الحديث- الشيخ محمد عبد الوهاب**"، ويعد أول إصدار علمي من نوعه باللغة الصينية، أعدّه أحد أبرز الباحثين الصينيين وهو الأستاذ الدكتور يوسف سراج مافوده،

عميد كلية الدراسات الأسيوية والأفريقية بجامعة شيآن للدراسات الدولية بالصين، والكتاب من إصدارات دار العلوم الاجتماعية بالصين.

يأتي الكتاب في أوانه، إذ سدّ فراغًا كبيرًا بشأن موضوع من أهم الموضوعات في تاريخ الجزيرة العربية بالعصر الحديث، وهو حركة الإصلاح الديني أو ما يطلق عليها الحركة السلفية أو الحركة الوهابية. وتضمن تمهيدًا وستة فصول وملحقًا.

أشار المؤلف في تمهيد الكتاب [ص ١–٨] إلى الدافع الرئيس من وراء تأليفه، وهو مناقشة الأقوال أو النظرة الغربية لحركة الإصلاح الديني (الصحوة الإسلامية) خلال ثمانينيات القرن العشرين في العالم الإسلامي وغيره، إذ تصاعدت الأصوات بأن هذه الحركة مُهدِّدة للأمن الدولي والأمن المحلي في البلدان التي يعيش فيها المسلمون. وكما يرى كثيرٌ من الباحثين أن حركة التجديد الإسلامي (الصحوة الإسلامية) ظهرت لمواجهة التحديات الغربية، بينما يرى المؤلف أن الأمر ليس بهذه البساطة، فالإسلام من تقاليده التجديد والإصلاح، فالتجديد الإسلامي هو لمواجهة التحديات الغربية في ظاهره، وفي باطنه هو ما يقتضيه الإسلام نفسه، إذ له آلية التكيف الذاتي التي ضمنت للإسلام الاستمرار والبقاء بعد عون الله تعالى وهي مبدأ "الاجتهاد الفقهي" ومبدأ "محاربة البدع الدينية" فالاجتهاد في معناه الثقافي هو آلية الضمان الحيوية لتكيف الإسلام لتغيرات الزمن وتقلبات العصر. و"محاربة البدع الدينية" هي آلية الضمان لذاتية الإسلام من تلاشيها في ثقافات الآخرين، وهي تعبير صريح لتمسّكه بحضارة نفسه وإعجابه به. ومن هذا المنطلق يمكن القول إنَّ جوهرَ التجديد الإسلامي يتمثّل في كون الإسلام في سياق تطوّره التاريخي، يملك آلياتٍ من التكيّف الذاتي والتحسين المستمر، بما يجعله قادرًا على مواكبة التحوّلات المتجدّدة للواقع الموضوعي، فالتجديد الإسلامي منذ العصر الحديث يُعَدُّ مرحلةً من مراحل المسار التاريخي الطويل لعملية التكيّف الذاتي التي يباشرها الإسلام في بنيته الداخلية، وهو بذلك يُمثّل سمةً أصيلةً من سمات تطوّره الطبيعي، لا تعبيرًا عن رفضٍ أو عداءٍ تجاه حضارةٍ بعينها.

كما يرى المؤلف [ص ١٠] أنَّ الحاضرَ هو امتدادٌ للتاريخ بالأمس، ومن ثَمَّ فإن الفهمَ العميقَ لواقع اليوم يقتضي تتبّع المسار التاريخي لتطوّره. وقد عُدَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رائدًا من روّاد حركة التجديد الديني وقائدًا لها، ولذلك وُصف بأنّه من أوائل ممهدّي طريق النهضة الإسلامية في العصر الحديث. ومن هنا، فإنَّ الدراسةَ المتعمقة للشيخ محمد بن عبد الوهاب تُسهم إسهامًا عظيمًا في الإحاطة الشاملة بتيارات الصحوة الإسلامية الراهنة، وتُعين على إصدار تقييمٍ منصفٍ وموضوعي بشأنها.

أما الفصل الأول بعنوان "عصر ظهور فكر الإصلاح عند الشيخ" يتناول أحوال الدولة العثمانية في تلك الأيام، وما صارت عليه وأحوال العالم الإسلامي تحت الحكم العثماني من العلاقات الخارجية المليئة بالمشاكل والمتاعب المستمرة، والنظم الاجتماعية القريبة من الانهيار، والبناء الحضاري والعلمي الفاقد للحيوية، وأوروبا الناهضة، وتناول أحوال شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة. وتوصَّل المؤلف إلى أن العالم الإسلامي الخاضع لحكم الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، يقع تحت وطأة أزمات متشابكة وأوضاع متدهورة. فقد انهار الاقتصاد، وتوالت النزاعات الداخلية، وعمّت الاضطرابات، واستشرى الفساد في مؤسسات الدولة حتى ضاقت حياة العامة ذرعًا، كما ظلّت الجيوش تعتمد على أسلحةٍ وتقنياتٍ حربيةٍ من عصورٍ وسطى، مع انحلالٍ في الانضباط وضياعٍ للقدرة القتالية. أما النشاط الفكري الإسلامي، الذي كان قد فقد حيويته منذ زمن بعيد، فقد توقّف تمامًا؛ وغدا المجال السياسي صراعًا دائمًا على السلطة، في حين لم يبقَ من الإسلام -الرابط الوحيد الذي يجمع العالم الإسلامي ويوحّده- سوى الشكل والمظاهر. لقد استسلمت الجماهير للشعور بالبلادة، وسيطرت عليها القدرية والخرافة، وانحدر مستوى القيم، حتى افتقد المجتمع وازع الضمير. وفي المقابل، كانت أعين القوى الغربية -التي عزّزت مكانتها عبر الثورة الصناعية وتطوّر الرأسمالية- مركّزةً على هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف، الذي عجز عن حماية نفسه، فسارعت إلى تكثيف خطواتها في سبيل تقسيمه والسيطرة عليه.

وأمام هذا الواقع المؤلم، برزت في العالم الإسلامي نخبة من المصلحين وأصحاب الهمم العالية. هؤلاء، بما امتلكوه من إحساس عميق بمعاناة الجماهير وإدراك واضح لحجم التحديات المصيرية التي تواجه الأمة، انطلقوا مدفوعين بآلام الحاضر وقلق المستقبل إلى الغوص في البحث عن جذور الأزمة والتفتيش المستمر عن سبل الخلاص. وهكذا، اتخذ كل مصلح موقعًا خاصًا ينطلق منه لمعاينة أوضاع العالم الإسلامي، وسعى في ضوء ما أتاحه له واقعه الاجتماعي وبيئته الثقافية إلى صياغة ما اعتبره إصلاحًا ملحًّا وضروريًا.

ويتحدث الفصل الثاني عن الشيخ وإصلاحه الديني، ويشمل حياة الشيخ وسيرته العلمية ودعوته إلى الإصلاح ونصرة الإمام محمد بن سعود لدعوته وتاريخ الدولة السعودية الأولى وأهم الإصلاحات الدينية التي قام بها الشيخ.

وخاض الفصل الثالث في أصول الأفكار الإصلاحية للشيخ من مدرسة الحديث النبوي وما تتميز به، والمذهب الحنبلي وما يتسم به من خصائص، وسمات شيخ الإسلام ابن تيمية وأفكاره في الإصلاح.

وتناول الفصل الرابع المعاني العامة لأفكار الإصلاح عند الشيخ في مجال العقيدة والفقه من معنى التوحيد ومنع التعمق في صفات الله، بل الدعوة إلى طريق السلف في القضايا العقدية، والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد المغلق منذ قرون في الفقه الإسلامي.

وتحدث الفصل الخامس عن أفكار الإصلاح عند الشيخ في المجالات الأخرى من النقد المستمر للصوفية وما يتعلق به، والتمسك بأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وممارسة هذا الأصل في تاريخ الإسلام، وفهم الشيخ له وممارسته في حياة المجتمع آنذك.

وبيّن الفصل السادس أثر أفكار الشيخ الإصلاحية في الدولة السعودية الأولى، الذي يتمثل في الوئام بين الدين والسلطة، وتكوين الأيديولوجية للدولة على أساس التوحيد، وتشكيل الروح العامة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنداء بإعادة فتح باب الاجتهاد الذي يتمثل في آلية التكامل في عملية تحديث الدولة وعملية تطوير الإسلام.

وأخيرًا يرى المؤلف [ص ١٧٤-١٧٢] أنَّ نموَّ الحضارة يكمن في قدرتها المستمرة على تقديم مواجهات ناجحة للتحديات المستجدة. ومن ثَم يمكن القول إنَّ حركةَ الإصلاح الديني التي أطلقها محمد بن عبد الوهاب كانت استجابة ذاتية للأزمة الداخلية التي كان يواجهها العالم الإسلامي. ولعلها تجسيدٌ لحيوية الإسلام، إذ إنه لا يدخل في مرحلة من الضعف والانحسار حتى تنبعث فيه تياراتٌ وحركاتٌ دينية تسعى إلى إزالة العوامل الدخيلة والعودة إلى التقاليد الإسلامية الأصيلة.

ويُنظر إلى المعرفة في التعاليم الإسلامية، على أنها ذات قيمة مقدَّسة في المجتمع الإنساني، إذ تُعَدّ الوسيلة المثلى التي منحها الخالق للإنسان ليدرك العالم ويحيط به. وقد حظي المثقفون بمكانة ورثة الأنبياء، فحُمِّلوا مسؤولية توجيه الحياة الاجتماعية للناس. وعندما ينحرف المجتمع عن مساره الطبيعي في التطور، فإن الواجب الأول في الإصلاح يقع على عاتقهم. ومن هذا المنظور، فإنَّ الفكرَ الإصلاحي الديني للشيخ محمد بن عبد الوهاب يُمثّل اجتهادَ مثقفٍ ذي مسؤولية وضمير حيّ، في مواجهة الأزمة الداخلية التي عاشها المجتمع المسلم آنذاك واستشرافًا لمستقبله. لقد كان يسعى إلى معالجة مشكلتين أساسيتين عانى منهما المسلمون في عصره: التراجع العام للعالم الإسلامي، والانقسام الحاد داخل المجتمع المسلم. ولم يتّجه الشيخ -كما فعل والي مصر محمد علي باشا في الفترة نفسها- إلى التركيز على مظاهر الحضارة الحديثة وتحسين ظروف الحياة المادية، بل اختار -بصفته عالمًا في الدين- أن يضع ثقته في أنّ الإيمان والروحانية هما أساس كيان المجتمع المسلم. ورأى أنّ سبب الانحطاط والانقسام يكمن في ضعف العقيدة، وانهيار الأخلاق، والانحراف عن صراط الله المستقيم. ومن ثَمَّ اعتقدَ أنّ العودة إلى الإسلام، والالتزام الصارم بتعاليم القرآن الكريم والسنّة النبوية، هو السبيل الوحيد والفعّال لنهضة الأمة الإسلامية. وعلى هذا الأساس انطلق في تفكيره العميق وجهوده الإصلاحية.

وخلاصة الكلام: إن قضايا التجديد الإسلامي الذي نادى به الشيخ محمد بن عبدالوهاب وسعى من أجله، تناولها المؤلف من باب التاريخ والاجتماع والسياسة والثقافة

وليس من باب العلوم الإسلامية من العقيدة والفقه وغيرهما، فأبدى آراءه على ما يراه. فوجد الكتاب بعد نشره إقبالًا في الأوساط العلمية والقبول من أجهزة الدولة في الصين، فأثّر على سياساتها الدينية والاجتماعية.